

مقدمة

الطبعة الثانية

بقلم الامير شكيب ارسلان

ظهرت ترجمة هذا الكتاب الى العربية مع حواشيها سنة ١٣٤٣ هجرية وفق سنة ١٩٢٥ ميلادية ، فانتشرت فى جميع العالم العربى انتشاراً عجيبا ، ولم يمض على طبع الكتاب أربع أو خمس سنوات ، حتى نفدت نسخه بأجمعها ، وصارت تؤدّى على النسخة الواحدة أضعاف قيمتها الأصلية ولا ينزل عنهـا مالـكها . ولقد نشدوا فى مصر ألف نسخة برسم المدارس ، فلم يجدوا ولا عشر نسخ . وعليه تقدم أناس يريدوننا على تجديد طبعه ، وتعميم نفعه ، فبادرنا الى الاجابة ووجدنا فى ذلك عين الصواب و بعد الأخذ والرد قسم الله للسادة الأماثل عيسى افندى البابى الحلبى وشركائه القيام بهذه النفحة الجديدة للعالم الاسلامى والطرفة النفيسة للحقيقة والعلم

ولما كان قد مضى على الطبعة الأولى سبع سنوات تامات ، جرى خلالها حوادث ومهمات ، ووقائع هامات ، وحصل مايسوء وما يسر ، وطرأ ماهو حلو وما هو مُرّ ، و بالاجمال تجددت قضايا تهم التاريخ العام ، فضلاً عن تاريخ الاسلام ، وذلك لأن الحرب العامة كانت أشبه بزلزال جيولوجى عام ، كاد يأتى الأرض من قواعدها ، فكثرت على أثرها الانقلابات والتحولات ، وازدادت قابلية الأمم للتأثرات ، وتمّ فى هذه السنين السبع بين طبعتى الكتاب الأولى والثانيـة ما لا يحصل أكثر منه فى الحقب الطوال ، كان لا مندوحة لنا عن مراجعة النظر فى الحواشى التى علقناها على الكتاب أول مرة ، لنضم اليها ما جدّ من الوقائع التى جرت خلال هذه الأعوام ، الأخيرة ونردف الأول بالآخر ، والأصل بالفرع ، وتكون الحواشى التى توخينا تعليقها على موضوع موضوع من مباحث العـلامة ستودارد قد جاءت بتمام البحث ، ووفت بالغرض ، ونقعت الغلّة ، ولم تبق فى النفس حاجة ، وأتت بصورة الوقائع متسلسلة من الأول الى هذه الساعة . ثم انه لم ينحصر الأمر فى سرد الوقائع ، ولا فى تقييد

ماتجدّد فى هذه الاعوام الأخيرة من الحوادث ، بل تعداه الى اكمال مباحث كان ضيق الوقت قد قضى باختصارها، ومطالب ألجأ تحرُّج المكان دون استنزافها الى أصبارها . فاطلقنا هذه المرة فيها للقلم عنانا ، وأرهفنا للتحقيق سناناً ، وأكملنا ما كان قضى ضيق الوقت بابقائه ناقصا ، أو بردّهِ عن محله نا كصا . ولسنا ندعى مع ذلك ، أنَّا لم نبق فى القوس منزعا ، ولم ندع الى الموضوع مرجعا ، ولا نقول ان كل مبحث قد استوفى من الاحفاء قسطه الأوفى ، فلا يجد القارئ للزيادة موضعاً . حاشا أن نقول ذلك ونحن ندرى وكل أحد من أرباب العلم يدرى ، أن كتابا يتوخى فيــه صاحبه الاحاطة بأخبار العالم الاسلامى على وجهها ، والاتيان بالمسائل الاسلامية كلها من فصّها ، لا مناص من أن يملأ بالأقل ثلاثين مجلداً من قطع الجزئين اللذين ظهر بهما الـكتاب فى طبعتهِ الأولى ، والأجزاء الأربعة التى يظهر بها فى طبعته الحاضرة وعند ذلك يصح أن يقال ان فى اللغة العربية انسيكلوبيديا اسلامية أشبه بموسوعات العلوم التى عند كل أمة من الأمم الراقية التى يقتدى بها

وهذا الأمر وهو وضع معلمة اسلاميــة وافية ضافية ، لا يجوز أن يغيب عن نظر الحـكومات الاسلامية ، التى تبغى الفلاح ، وتنشد الرقى والطيران الى النجاح بجناح ، فانه وان كانت كتب التاريخ فى الاسلام أكثر من أن يحصيها العدّ وكان المسعودى ذكر فى مقدمة مروج الذهب نحواً من سبعين مؤرخاً مع أنه لم يكن مضى على الاسلام الا ثلاثة قرون ، وان كانت سعة التأليف فى الاسلام أعظم من أن يتصورها العقل (١) وكان الذين لهم مئات من التآليف فى الاسلام يحصون بالعشرات ان لم يكن بالمئات وكان الطبرى يعرض التاريخ على تلاميذه فى ثمانين ألف ورقة ، وكان ابن عروة الحنبلى يؤلف تفسيراً فى ١٤٠ مجلداً كبيراً ، وكان المؤرخ سيديّو صاحب الـكتاب الافرنسى المشهور عن مدنية العرب يقول : «ان منهم كالسيوطى مثــلا – من صنف من الـكتب أكثر مما قدر كثير من الافرنج أن يقرأوا فى حياتهم ، وكان صبح الأعشى فى عصره كتاباً نادر النظير فى بابه ، فلا نقدر أن نقول ان للاسلام انسيكلوبيديا متناسبة مع مقامه بين الأمم ، أو مع الدور الذى مثله فى التاريخ البشرى محشودةً فيها جميع الموضوعات المتعلقة بالاســلام والمسلمين ، بحيث يستغنى بها الباحث عن مراجعة المئات والألوف من المصنفات » . فهذا الذى ينبغى للمسلمين أن يهتمّوا بازاحة علتهِ

(١) سبق لنا مقالة منذ ثلاثين سنة فى مجلة « المشرق » اليسوعية فى بيروت عنوانها « سعة التأليف فى الاسلام » أتينا فيها بأمثال مدهشة فى هذا الباب

وسد حاجته ، وان يكون الا بتأليف لجان يكون فيها نخبة من الأفراد المتخصصين كل فى فنه والأفذاذ المبرّزين كل بين أهل قرنه ، ولا تقدر على ذلك فى رقعتنا الشرقيـة اليوم الا الحـكومات والدول فأما الأفراد فليسوا له بمقرنين . وكذلك ليس فى العالم الاسلامى جمعيات خيرية ولا علمية تستطيع أن تبذل البذل الذى يسد هـذه الخلة وان وجد فلا يزال فى مهد الطفولية .

أما كتابنا هذا فى أجزائه الأربعة هذه المرة ، فانه الى أن يتاح للاسلام حظ هذا العمل الـكبير ، يكون من الـكتب التى تفى بجانب من هذا العوز ، و يجوز أن يقال انه معلمة اسلامية صغيرة ، بل هو فى المباحث الجغرافية والتاريخية والاحصائية عن أقطار الاسلام النائية وبقاعه المجهولة فذّ فى بابه ، وكذلك يمتاز هـذا الـكتاب بالمباحث السياسية التى قيض لمحررها أن يعلمها من عين صافية، وأن يقف على الرواية الوثقى منها بطول خبرته، وقرب سنده، واستمرار مزاولته لهذه الأمور من ٤٧ سنة . وفيه بعد تراجم وأخبار ، لم يسجلها كتاب ولا جرى بها قلم ، فلا يجدها الناشد فى غيره اذ هى نتيجة مشاهدات الـكاتب وما رآه بالعين وما سمعه بالأذن وما كان له فيه أخذ وردّ . وعلى كل حال ففى هذا الـكتاب من الطريف ما لا يسع انـكاره الجاحد ، ولا يضيره مراء الحاسد . ولا شك فى أن الأمة الاسلامية الناهضة الى تجديد تاريخها ، النازعة الى النماء بجميع فروعها وشماريخها ، ستتفطن الى كل ما يعوزها من هذه المقاصد الجليلة ، ومن جملتها تأليف المعلمة الـكبرى التى هى من ضرورات رقيها وأشراط نموها . وبالله التوفيق ومنه نستمد الهـداية الى أقوم طريق وصلى الله على النبى العربى العريق وعلى آله وصحبه وسلم ؟

شكيب أرسلان

جنيف فى ١٥ ذى القعدة ١٣٥١

مقدمة الطبعة الاولى

للأمير شكيب

الحمد لوليّه ، والصلاة على نبيّه ، والسلام على كل هادٍ الى سَوِيّه . وبعد فانّ الاوربيين الذين يغورون فى كلّ أمر ، ويختتلون كل سرّ ، ويوسعون كل قضية درسا ، ولا يسأمون فى أطراف الأرض بحثاً ولا فحصاً ، يذهبون الى ان فى العالم الاسلامى حركةً شديدةً ، وغلياناً عظيماً ، وان آسية وإفريقية ماخضتان بحوادث خطيرةٍ يكون من الجهل تجاهلها ، ومن الخرقِ الاستخفاف بها . ومنهم من يغلو فى تقدير هذه الحركة وتوسيع دائرتها ، فيرى الاسلام من أقصاه الى أقصاه متحسحساً للقيام ، والشرقَ من أوله الى آخره متحفزّاً للصراع ، ويجد العالمَ القديمَ كلَّه مستوفزاً يريد ان يقتفى اثر اليابان ، ليستردّ مجداً سالفاً ، ويستجدّ عزاً آنفا ، ويشحط عنه كل غريب ، ويكشف كل مغير ، وان الشرقيين لا سيما المسلمين منهم ، يأبون الا استرجاع أملاكهم المغصوبة باصبارها ، واحراز حقوقهم المهضومة بحذافيرها ، كما أن نفراً تراهم بالعكس ، يقولون ان الاسلام جسم متفكك الاجزاء ، متقطّع الأوصال ، عاجزٌ عن الصراع ، فاقدٌ لأسباب الدفاع ، ينقصه العلم ، كما يعوزه السلاح ، لا يريش ولا يبرى ، ولا يقدر على ثورةٍ ذات بال ، فمن أحمق الحمق وأسفه السفه أن تقيم أوربا للاسلام وزناً ، وأن تحسب للشرق — حاشا اليابان — حسابا ، وأن تمهل الاسلام فى استصفاء مابقى له على الاستقلال ، الى ان تكون عصت مقادته على الراكب ، وعست قناته على الغامز ، فالأحزم والأحوط هو مضاء أوربا فى سياستها المبنية على الفتح ، غير مباليةٍ بصخب ولا اعتراض ، ولا متحرجةٍ عن تفجير الدماء فى قمع ثورة أو منع انتقاض . ولهذا تجد هذه الفئةَ ممعنةً فى مطامعها ، مستمرةً فى غلوائها ، مطيعةً فى اختلاس الممالك دواعىَ أهوائها ، لاتنظر الى العواقب ، ولا تتصرّف فى أمر تصرف محاذرٍ ولا مُراقب . وكان الناس يظنون أن الحرب الكونية بما أتت به من المثُلات والعبر ، وأجرته من جداول الدماء وسيول العِبَر ، ونزفته من أمواه الحياة ، ونسفته من أركان العمران ، وأنفدته من القناطير المقنطرة ،

وطيرته من المجاهيد الموفرة ، ووضعته من الاعباء على كاهل البشرية ، وأورثته من الانسراق فى كل عضو من أعضاء الهيئة الاجتماعية ، قد تُنَبِّه رجال الدول الى سير القصد ، ومراعاة الحق وايثار الرفق ، والصدوف عن تُرّهات الحيف ، والتكلم بغير نغية السيف ، لأنه من المقرّر أن هذه الكائنة العظمى ، والطامّة الكبرى ، كانت لها جملة عوامل أهمها التهافت على الاستعمار ، والتسابق على اقتسام الأقطار ، والظن بأن كل ما هو غير أوربى فانما هو آلة للاستغلال وموضوع للاستثمار . فخاب أيضاً الأمل بالاتعاظ بهذه الحرب التى لم يُرِ التاريخ لها مثالا ، وأخطأت الفراسة بأن هذه المصائب والأهوال تلهم ساسة الدول الغربية رشداً واعتدالا . بل رانت المطامع على البصائر ، وغلب الجشع على الحجى ، وطمست الاهواء الالباب . مع أنه كان يكفى هؤلاء مثلة معاهدة « فرساى » التى لو كانت مبنية على قاعدة الانصاف لما احتيج اليوم الى لجنة الخبراء ، ولما وقع ما هو واقع وما سيقع من الخصام والمراء ، وما سيفضى يوماً الى حرب ثانية ، ومصائب تالية . وكذلك معاهدة « سفر » التى اضطر واضعوها أن يمزقوها ، بعد تلك الدماء التى أراقوها ، والبلدان التى غادروها خرابا وزرعوها أسنّة وحراباً . فمع أنهم رأوا خطأهم صراحية ، ومع أن زرعهم لم يثمر الاّ شوكاً ، ومع أن العداوة قد لقحت من ذى أنف ، وان دواعى الحرب عادت أكثر مما بدأت ، لا يريدون أن ينتهوا عن ضلالهم القديم ، ولا أن يربعوا على ظلعهم الجديد ، ولا أن ينظروا الى ما عليهم من الديون المجهضة الاحمال ، ولا يفكرونَ فيما على ظهورهم من أمثال الجبال ، وانما يعولون فى حماية مطامعهم على النيران المحرقة ، والقنابر المصعِقة ، وعلى الحرب الجوية ، بأعداد الألوف المؤلفة من الطيارات التى يرونها أخصرَ طريقاً وأخفّ مؤونة وأوحى قتلا . ولا يلاحظون ما فى قتل النساء والأطفال من الفظاعة التى لا تليق الاّ بالمتوحشين الذين يأكل بعضهم لحم بعض ، وما فى تدمير المساكن على رؤوس الأبرياء والوادعين من مخالفة دعوى الانسانية التى يزعمون أنهم حماتها فى الأرض .

فالعالم الاسلامى الذى لا يزال محور سياستهم قهره واعناته ، وتجريده من السلاح بكل وسيلة ، والحيلولة بينه وبين الاتحاد والتماسك بكل حيلة ، احتياطاً من وراء رسَفَانه فى قيوده الحاضرة ، وأماناً على ديمومة خنوعه لسلطتهم القاهرة ، لا يصحّ أن يقال انه بلغ من النهضة الدرجة التى تكفل له حطم سلاسله الثقيلة ، واسترداد ممالكه العريضة الطويلة ،

واستئناف معاليه الخالية ، ومصيره مع العالم الأوربى الى حالة متساوية . ولا أدرك بهذه السنين القلائل من اليقظة ما يكفى لتجديد ما أخلق من حاله ، واستشن من شأنه ، بل لا يزال و باللاسف الجهل مخيماً على أكثر آفاقه ، وما برحت العصبيات الجاهلية عاملة عملها فى تفكيك عراه و بعثرة أجزائه ، كما أن الرعب من سطوة الأجانب الا من رحم ربك ملء الجوانح ، واليأس من استطاعة القيام فاشٍ فى الأفكار والخواطر . وكأنه الى هذه الحالة بعينها نظر النبى ﷺ حينما قال : « يوشكُ أن تتداعى عليكم الأمم من كل جانب تداعى الأكلة على القصاع . قالوا : أو مِنْ قلة منا يومئذ يارسول الله ؟ قال : لا . ولكنكم غُثاء كغثاء السيل يُجعَل الوهل فى قلوبكم و ينْزَع من قلوب أعدائكم،من حبكم الدنيا وكراهيتكم الموت » أو كما قال . نعم صار المسلمون ، الا الأقل منهم الى زمان لا تغنى عنهم كثرتهم شيئاً بل صارت الفئة القليلة من غيرهم تتحكم فى الفئة الكثيرة منهم ، وتخبطهم بكل عصا ، وهم لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا ، وراح الأجنبى يفتح بلدانهم بهم و يسلط بعضهم على بعض ، ويقتل هذا بذاك مستفيداً من قتل الاثنين : الذى يقاتله والذى يقاتل معه . واذا سالت أحدهم لماذا اعطاء هذه المقادة كلها واقتحام الموت فى سبيل الأجنبى الذى تغلب عليه ، أجابك انه انما يساق الى الموت رغماً . والحال أن الموت الذى يخشاه فى عصيان الأجنبى ، هو ملاقيه فى طاعته ، فهو من خوف الموت فى الموت ، ومن حذر العذاب فى أشد العذاب . فلا بد لاستقلال الاسلام من زوال هذه الأوهام ، ومن انتشار المعارف التى لا تجتمع مع الذل فى مكان ، ولا تبرح دون تلك الغاية مصاعب وقُحَم ، ومصائب وغُمَم ، وليال مظلمة طوال ، ومعارك تشيب لها ذوائب الأطفال . وانما الذى يخطئ فيه سكارى العز ونشاوى الساعة الحاضرة من الأوربيين ، اعتقادهم أنها حالة ستبقى على الدهر ، وان ثلثمائة وأربعين مليوناً من المسلمين سيلبثون الى الأبد رهن اسارهم وفريسة استعمارهم ، ووقود نارهم ، واعتبارهم الشرقيين عَمَلةً يسمن الغربيون بهزالهم ، و يسعدون بشقائهم ، و يقوون بضعفهم ، ويحيون بحتفهم ، حقاً لقد تجاوزوا الحد ضلالاً وغروراً ، واستكبروا فى أنفسهم وعتوا عتواً كبيراً ، وظنوا أنهم انما كتبت لهم السيادة خالصة من دون الناس وأمنوا جفوات الأيام،وأخذوا الطريق على الفلك الدوّار فلا يدور لهم الا بحسب المرام . كلا هذا منهم خيالٌ زائل، ووهمٌ أرقّ من شَبَح باطل ، فلن يبقى الشرقيون أبد الدهر مَدَنَقَةَ

هينة عليهم نفوسهم ولن يصبروا أكثر مما صبروا على أن يلي أمورهم من ليس منهم ، ولا بد أن ياتى الزمن الذى يصبح كلٌّ فيه سيداً فى دياره ، مانعاً لذماره ، مساويا فى الارض لمن ظن سلطانه سرمداً ، ودوره مؤبداً ، وعمل اليوم عمل من لا ينظر ما يكون غداً ، لا سيما المسلم الذى يقرأ كل يوم فى قرآنه ما يجعله بكل جارحة من جوارحه رجلا ولا يرضى له بالاستقلال بدلاً ، وينفخ فيه من روح الانفة ما يصور الذل كفراً ، ويلقى فى روعه من حب العلم ما يصير الجهل وزْراً ، ويحتم عليه من الأخذ بأسباب القوة ما يخيل الضعف شركا . كلا لن يلبث الشرق لدى دول الاستعمار هو الشحمة الرُّقّى ، والامم التى لا تملك لأنفسها حقا ، ولا تنفض عن أعناقها رقاً ، ولا يمكن أن يظل الاوربى سيد الارض غير مدافع وصاحب الحكم غير مزاحم متسلطاً على ما فى الدنيا من الجهات النفيسة ، مستأثراً بما بين المشرق والمغرب من الجَنَبَات الرئيسة ، فلم يبرح الدهر قلَّباً ، والدوام محالا ، والتاريخ يركب الامم طبقا عن طبق ، ويلحق من تأخر بمن سبق ، وما من بهشة الا وراءها جهشة ، وقد كذب من طمع فى صفو بلا كدر ، وصعودٍ بلا حَذَر . ومن أعظم الخطا الظن بأن الشرق لا يلمُّ على شعث ، وان آسية وافريقية لن تنهضا من عثار وهما ثلثا العالم ، ولقد سار الشرق فى مدة وجيزة عقبَاتٍ جِياداً ، واجتاز أزماتٍ شداداً ، وهو ماض فى سيره الى الأمام لا سبيل بعد اليوم الى تعويقه ، ولا حاجز يمكن أن يقف فى طريقه بدسائس تلقى ، ومبالغ سريّة تنفَق ، وأخلاق تُفسَد ، وذمم تشرى وأشراك تبثّ ، وأسياف تُسلّ . ولا المحلقات فى الجو تقدر على كم الأفواه ، ولا الغازات السامة تقوى على إطفاء نور الله ، وما تزيد هذه الوسائل تلك الأمم المستضعفة الا شوقاً الى الحرية ، ونداء الى الثارات واصراراً على الضغائن ، ومهما يكن من حيل العباد فللكون سَنَن هو سائره ولله أمر هو بالغه .

وقد كتب كثير من المؤلفين الأوربيين على الحركة الاسلامية بعد الحرب ، فمنهم مخطئٌ ومنهم مصيب ، ومنهم من خلط قولا سديداً وآخر بعيداً . ومنهم من تكهن بالشر وأنذر بالويل . ومنهم من أحسن الظن وهُدِى الى الطيب من القول . ولا شك فى كون خيرة ما ألف فى هذا الباب ، ونبلة ما خيض من هذا العباب ، هو الكتاب المسمى « بالعالم

الاسلامى الجديد [(١)] » تأليف العلامة الحصيف البليغ المستر ستودّارد الأمريكىّ الذى أخرجه كتاباً جامعا وشهاباً لامعاً ، وحصيلة بحث دقيق ، ونتيجة احفاء عميق ، فهو فى هذا الموضوع أفضل المؤلفات على التحقيق . توخى صاحبه العدل فى الحكم والاعتدال فى الوصف والوقوف عند اعتراض الشك ، وأبى القاء الكلام على رُسَيْلاَته وازناً الأمور بميزانها غير مقصّر ولا مشطّ ، ولا مفرطٍ ولا مفرّط وهو الأمد الذى يكبو دونه جواد غيره من المصنفين ، والغاية التى لا تتاح الا للافذاذ من صيّابة المحققين . وضعه محرره باللغة الانكليزية وترجه بعضهم الى الفرنسية وربما ترجم الى غيرها من اللغات الاوربية ، ونقله أحد أدباء الترك الى التركية ، ولكن أكثر من أعجب بهذا الكتاب هم أدباء العرب ، فقد تبارى عدة من أفاضلهم فى تعريبه خدمة لقومهم ونصحاً ، وانبرت أقلامٌ مرهفة لجلاء عرائسه على منصة هذه اللغة الفصحى ، وانما سبق غيره الى الاتمام ، الشاب الأديب الكاتب الناهض عجاج افندى نويهض ، فأبرزه فى حلة من نسيج الضاد تشتد بها نُطق النطق ، وتقترن بها حلاوة العبارة بلسان الصدق . وكان قد كتب الىّ فى العام الماضى وأنا فى أوربا يلتمس منى تصدير هذا الكتاب بمقدمة تليق بمقامه الخطير ، وتكون فى أوله مقدمة وهى فى الحقيقة من ورائه ظهير ، وكنت قبل ذلك اطلعت على هذا الكتاب ووقفت على ما فيه من جمال مناحٍ ، وسداد آراء ، وسمعت حسن الاحدوثة عنه ممن يعرفون الجمر من الخل من القراء ، فرأيته لاضطراره الى الاجمال ، وعدم تعرضه لكثير من المسائل الا على سبيل الايماء ومن قبيل الاستشهاد ، يحتاج فى بعض المظان الى الاكمال أو الايضاح . فعلقت عليه مما أملاه الخاطر الفاتر حواشى رجوت أن تكون طرازاً لحبره ، ونظاماً لدرره ، وأوردت فيه من أخبار العالم الاسلامىّ ما لا يزال مجهولا عند أكثر المسلمين ، ومعظم الشرقيين ، بعلة تنائى البلاد وتراخى الابعاد ، وضرب الدول المستعمرة بالاسداد فكانت طريقتى فى هذه التعليقات ترك ما استفاض العلم به وتواتر الخبر عنه ، ولو كان فى حد ذاته جللاً الى البحث عما خفى شأنه ، وعمى خبرهُ ولو كان أمرهُ فُرُطا ، فاعتنيت بقدر الطاقة

(١) هو بالانكليزية The New World Of Islam وقد رأينا أن ترجمته ب « حاضر العالم الاسلامي » أوفي بالمراد فى العربية وأدل على الغرض من العالم الاسلامى الجديد ، أو العالم الاسلامى الحديث ، أو عالم الاسلام الجديد ، أو عالم الاسلام الحديث . (المترجم)

بتحرير المواضيع الغامضة والمسائل الغريبة ، وتحريت أنباء الاصقاع النائية ، دون البلدان القريبة . اذ ما من فائدة فى البحث عن قضايا تساوى الخاص والعام فى فهم معناها وسرد أخبار لم يبق قصريٌّ ولا عمُيٌّ الا رواها أو علم فحواها ، فتحاشيت فى هذه الحواشى التواريخ المشهورة المكرَّرة ، والمعلومات التى فى كل يوم منها خبر فى الصحف المنشّرة ، فجاءت بابكار من المواضيع لم تجلها الاقلام لحداثة عهدها وأخرى من أخبار زوايا من بلاد الاسلام عميت أحوالها لانقطاعها و بعدها ، وقد اخترت فيها كلها التلخيص اذ لو أرخى فيها الكاتب عنان القلم لما حوتها اجلاد ، ولا وفى بها جلد ولا اجتهاد . هذا وان رأينا الذى نعول عليه أولا وآخراً ، ونرجع اليه باطنا وظاهرا ، ان الشرق أجمع سيتنبه من رقدته ، وينهض من كبوته ، وانه كما شهد القرن التاسع عشر استقلال أميركا باسرها ، فسوف تشهد بقية القرن العشرين استقلال آسية بعروتها وزرّها ، وانه لا تمضى الثمانون سنة الباقية لتمام هذا القرن حتى يلى الاسلام بلاده ، ويبلغ من نعمة الاستقلال مراده ، ليس هناك كهانة ولا عرافة ، ولا هى مقاصد تدرك بالرقى أو العيافة ، ولكن يُعرف المستقبل من الحاضر ، و يدل الاول على الآخر . هذا وان نهوض الشرق هو الشرط الاول فى سؤدد السلام ، وراحة الانام ، وحقن الدماء الحرام ، وحفظ موازنة العالم واستواء الاقسام . ومادام الغربيون يرون الشرق لجيوشهم مجالا ، والاستعمار لدول أوربا دليلا تقفوه يمينا وشمالا ، فالحروب بين الدول قائمة متتابعة ، الى قيام الساعة ، والاختراعات التى تفتخر بها المدنية مصروفة الى استئصال البشر وناهيك ما فى مدنية كهذه من الشناعة ، وما دامت جمعية الامم مثل العروض بحراً بلا ماء ، ما وجدت الا لتلبس الاعتداء حلة قانونية ، وتسوغ الفتوحات بتغيير الاسماء ، لا يطيعها سوى ضعيف عاجز ، ولا تستطيع أن تحكم على قوى متجاوز ، فكيف يغطى الحق بالثرثرة والحق أبلج ، وكيف يستقيم الظل والعود أعوج ، فلا مندوحة للامم الشرقية عن الاقتداء باليابان فى التماس المنعة ، ومضارعة الدول الغربية فى ارتياد العلم واقتباس الصنعة ، حتى اذا قرع النبع بالنبع ، ووقع النصل على النصل اقتنع كل بدياره ، وأمسك الجار عن هضم جاره ، فان المال السائب هو الذى يعلم الناس الحرام . وان الخوان الممدود هو الذى يبعث الاشتهاء الى الطعام . فليحرص الشرقيون من كل فريق أن يكونوا أولى قوة مانعة ، وان يوحدوا كلمتهم فيجعلوها كلمة جامعة ، فان بقوتهم خلاص الغرب والشرق ، والادالة من الحرب للسلم ومن الباطل للحق ، بحول الله وكرمه ؟

مرسين ٢٥ شعبان سنة ١٣٤٣
٢١ مارس سنة ١٩٢٥

شكيب أرسلان

مقدمة المترجم

« حاضر العالم الاسلامى » كتاب حديث الوضع ، نُقل الى عدّة لغات أوروبية وشرقية ، وبعد إخراجه طُبع غير مرّة فى الانجليزية ، فذاع فى أمريكة وأوربة ، ذيوعاً عظيما ما كان مثله لكتاب غيره فى بابه ، فأحلّه كثير من الساسة والمنصفين وأهل البحث والعلم المحل الأرفع ، وأقبلوا عليه ، واهتدوا به فى الاحاطة الحقة بكثير من طبائع الاسلام ، والانقلاب الاسلامى على اختلافه فى آسية وافريقية قبل الحرب العامة وبعدها ، واتخذوا منه عونا على تدبر ما بين العالم الاسلامى وبين الدول الغربية المستعمرة من صلات وعلاقات، حق التدبر . وقد شهد المحققون للعلاّمة ستودارد الامريكى ، بصحة القول ، وإصابة العدل والحق فى الحكم . ومما قالته (مجلة المجلات) الانكليزية عند صدور الكتاب ان صاحبه « ارميا القرن العشرين » لكثرة مؤلفاته .

وقد رأيت فى نقل « حاضر العالم الاسلامى » الى العربية خدمة بارّة ، رجوت اذا وفقت الى القيام بها أن يتقبّلها كل قارئ كريم بقبول حسن . فاستأذنت المؤلف فى الترجمة ، فأجابنى الى ذلك طيب الخاطر . وأمدنى باذن خاص منه ومن شركتى الطبع الامريكية والانكليزية فأشكر له هذا شكراً كبيراً

وبعد الفراغ من ترجمته طلبت من حضرة العربى الكبير ، والسياسى الشرقى الضليع الثقة فى الشؤون الاسلامية ، كاتب العصر صاحب السعادة الأمير شكيب أرسلان ، رعاه الله وأطال بقاءه ، أن يتفضل بكتابة مقدمة يُطرّز بها جيد الكتاب ، فتفضّل سعادته ، وهو على أسفار متلاحقة بين الشرق الأدنى وأوروبة ، بتلبية الطلب على النحو الذى مر بك فى المقدمة السابقة التى وضعها سعادته غير قاصر فضله على وشل ما طلبت ، دون فيوض الفصول الممتعة ، والتعاليق الجامعة ، التى منها ما هو تحت المتن ، ومنها ما هو وارد مستقلا مع سبق الاشارة اليه . فجاء الكتاب بعد ذلك جامعا للحسنتين : حسنة الوضع للعلامة ستودّارد الأمريكى الغربى ، وقد بلغ من التوفيق فى كتابه علماً وتحقيقاً ، مبلغاً عز على غيره من سبق الواضعين . وحسنة المزيد من فرائد الفصول والحواشى والتعاليق ، لصاحب السعادة الأمير شكيب ، الحجة السياسى الشرقى ، جزاه الله عما بذله فى هذا السبيل خير جزاء ونفعنا بعلمه الواسع ، واضطلاعه الجامع . وكان الكتاب مجلداً واحداً فغدا بعد المزيد أربعة مجلدات

عجاج نويهض